التدخين وآثاره بين أحكام الشريعة الإسلامية، وتشريعات مناهضته في دول مجلس التعاون الخليجي

مقبل بن هلال بن محمد العتيبي
باحث دكتوراه بجامعة أم القرى
قسم الدراسات القضائية والأنظمة، السعودية.
السجل المدني: ١٠٧٤٥٥٨٣٨٦

عدد ٥٦ يناير ٢٠٢١ م

Smoking and its effects among the provisions of Islamic Sharia, and legislation against it in the countries of the Gulf Cooperation Council.

Abstract:

When following the provisions of Islamic Sharia, we find that they came to preserve the five necessities: (religion, soul, mind, honor, and money). So, the Islamic Sharia made it keen on it and prohibited everything that would lead to the desecration of its sanctity. And since smoking leads to a breach of some of these necessities such as religion, self, and money - especially - with its spread in most countries of the world and the fall of many Muslims into it and their tolerance of it with the many diseases that lead to it that require clarification of its provisions.

As for the importance of the subject of the study, it is to show that the law of Islam is a complete law suitable for every age and time, and it came to achieve what guarantees one's happiness in this world and the hereafter. And that the spread of this incurable disease in most countries of the world and its consumption in large quantities, despite what scientists, specialists and experts confirm about the seriousness of its harm to health, the environment, and the economy. And this is related to the lives of many Muslims because many people are lenient in the law of God, except for those whom God has mercy. The study also clarifies the position of the Gulf Cooperation Council countries on the issue of smoking by following the legislation against this reprehensible phenomenon.

As for the reason for choosing the topic of the study, it is due to the lack of scientific research that deals with this topic from the legal aspect and the provisions related to it, in addition to

international legislation. Also, some of those afflicted with this disease deny the legal prohibition of smoking, as there is no specific Sharia text prohibiting it. This is in addition to the large number of problems and diseases resulting from smoking, which needs to explain its provisions.

التدخين وآثاره بين أحكام الشريعة الإسلامية، وتشريعات مناهضته في دول مجلس التعاون الخليجي[١].

ملخص/

"الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين"..... **فإن** من حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعل الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع السماوية، شملت في أحكامها جميع جوانب الحياة وعالجتها أفضل العلاج وأحسنه، ولم تقتصر أحكامها على تنظيم العلاقة بين العبد وربه، بل نظمت علاقته بربه، وبنفسه، وبغيره. وعند تتبع أحكام الشريعة نجد أنها جاءت محافظة على الضرورات الخمس وهي:(الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال). فحرصت عليها الشريعة الإسلامية وحَرمت كل ما يؤدي إلى هتك حرمتها. ولما كان التدخين يؤدي إلى الإخلال ببعض هذه الضروريات مثل الدين والنفس والمال – لا سيما – مع انتشاره في معظم بلاد العالم ووقوع كثير من المسلمين فيه وتساهلهم به مع ما يؤدي إليه من أمراض عديدة تستوجب بيان أحكامه.

أما بالنسبة لأهمية موضوع الدراسة، فهى لتبيان أن شريعة الإسلام شريعة كاملة مناسبة لكل عصر وزمان، وجاءت لتحقيق ما يكفل للمرء السعادة في الدنيا والآخرة، فبينت للناس الحلال والحرام حتى يسلموا من الوقوع في الزلل والخطأ. وأن انتشار هذا الداء العضال في معظم دول العالم واستهلاكه بكميات كبيرة رغم ما

[١] للباحث مقبل بن هلال بن محمد العتيبي: باحث دكتوراه بجامعة أم القرى قسم الدراسات القضائية والأنظمة، المملكة العربية السعودية. رقم السجل المدني: 1074558386.

يؤكده العلماء والمختصون والخبراء من جسامة ضرره على الصحة والبيئة والاقتصاد. وتعلق الأمر بحياة كثير من المسلمين، ذلك لأن كثيراً من الناس يتساهلون في شرع الله إلا من رحم الله، قال تعالى {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ}[1]. كما أن الدراسة تستبين موقف دول مجلس التعاون الخليجي من قضية التدخين من خلال تتبع تشريعات مناهضة هذه الظاهرة الذميمة. أما عن سبب اختيار موضوع الدراسة، فهو عائد إلى قلة البحوث العلمية التي تتناول هذا الموضوع من الجانب الشرعي والأحكام المتعلقة به، بجانب التشريعات الدولية. كما أن بعضاً ممن ابتلوا بهذا الداء ينكرون حرمة التدخين شرعاً لعدم ورود نص شرعي خاص على تحريمه. هذا بجانب كثرة المشاكل والأمراض الناتجة عن التدخين مما يحتاج معه لبيان أحكامه. وأما بالنسبة للمنهج العلمي للدراسة؛ فقد اعتمدت على المنهج المقارن، كما هو الحال للمقارنة بين آراء المذاهب الفقهية الأربعة؛ وكذلك المنهج التطبيقي.

أصل التدخين ونشأته:

الدخان هو مزيج من الغازات وذرات صغيرة جداً تنتج عن عملية الاحتراق. أما "السجائر" فهي لفائف تحتوي على ورق التبغ. والتبغ فهو نبات ذو أوراق كبيرة مخروطة الشكل تستعمل بعد تجفيفها في صناعة السجائر والسيجار والسعوط. والتبغ نبات من الفصيلة الباذنجانية السامة، له أوراق كبيرة وزهور جميلة ذات لون أحمر، يرتفع عن العرض حوالي المترين، وما يستعمل منه لصنع التبغ أوراقه فقط[٢]. واسم التبغ مشتق من كلمة (توباكو) الإسبانية وذلك يرجع إلى أن عادة التدخين أول ما انتشرت كانت في جزيرة (توباكو) الإسبانية[٣]. وتعتبر قبائل الهنود الحمر (سكان أمريكا الأصليين) أول من استعمل التبغ في التدخين، وعندما وصل المستكشف الإسباني (كريستوفر كولومبوس: Christopher Columbus) إلى أمريكا الوسطى مكتشفا القارة الجديدة عام ١٤٩٢م مع رجاله الإسبان نقل أحدهم نبات التبغ إلى إسبانيا ومنها انتشر في كل من فرنسا والبرتغال وأوروبا كلها ثم تركيا وفارس والهند وروسيا واليابان وجميع بلاد العالم. وكان أثرياء إسبانيا يزرعونه في حدائقهم للزينة والتمتع بزهوره الجميلة، ثم استخدمت أوراقه للعلاجات الطبية، وتعتبر ملكة فرنسا (ماريا دي ماديتشي"١٥٧٥- ١٦٤٢": Marie de Médicis)[٤] أول من استعمله للعلاج من ألام نصف الرأس في صورة مسحوق يستنشق، ثم تلا ذلك انتشاره انتشاراً واسعاً في فرنسا وارتفع سعره ارتفاعاً عظيماً واخذ الناس يتفننون في استعماله، فمنهم من صنع اللفائف والغليون وغيرها[٥]. أما تدخين التبغ، فهو عادة قديمة جداً وتشير الدراسات إلى أنها نشأت في بلاد الشرق الأقصى بدءا بالصين ومنغوليا ثم اتجهت غربًا إلى بلاد فارس ثم انتقلت إلى تركيا وأيضا كانت عادة التدخين منتشرة لدى قبائل الهنود الحمر. ومع بداية القرن العشرين أصبحت عاده التدخين ظاهرة أقرتها الكثير من الدول وانتشرت انتشارا واسعا في عالمنا المعاصر وتدخين السجائر يعتبر حالياً وباء في الرجال ثم امتد إلى النساء وكذلك الشباب والفتيات بل والأطفال[٦].

التدخين من منظور الشريعة الإسلامية:

التدخين عادة سيئة تجلب الأمراض وتورث العلل وتهدد الجنس البشري.

والتدخين عادة ظهر خبثها، وبان ضررها، بحيث لم يعد هناك مجال للشك في القول بحرمتها، وإثم متعاطيها. كما استطاع رجال الطب بمختلف تخصصاتهم أن يتوصلوا إلى الحقائق والبراهين التي تؤكد أن معظم الأمراض التي تصيب الإنسان وبالأخص المدخنين هي أمراض مزمنة باستمرار عادة التدخين قد تؤدي بحياة المدخن إلى الهلاك. كما أن للتدخين آثاراً اجتماعية سلبية، ومنها، عدم رغبة البعض في مخالطة المدخنين، كما أن للتدخين تأثير على تربية الأبناء حيث أن الأب لابد وأن يكون قدوة صالحة لأبنائه. ويقول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١٣١١هـ-١٣٨٩هـ)[٧] رحمه الله في فتوى نشرتها ووزعتها رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية عن حكم الدخان: "لاريب في خبث الدخان وإسكاره أحيانا وتفتيره وتحريمه بالنقل الصحيح، والعقل الصريح ، وكلام الأطباء المعتبرين، أما النقل الصحيح فقول الله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)[٨]. وأما العقل الصريح، فلما علم بالتواتر والتجربة والمشاهدة مما يترتب على شاربه غالباً من الضرر في صحته وجسمه وعقله[٩]. وفي فتوى لسماحة الشيخ "محمد بن صالح العثيمين (١٣٤٧- ١٤٢١)" رحمه الله حول سؤال بيان حكم شرب الدخان والشيشة قال سماحته شرب الدخان محرم وكذلك الشيشة والدليل على ذلك قوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)[١٠]، وقوله تعالى:(وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)[١١]، وقد ثبت في الطب أن تناول هذه الأشياء مضر، وإذا كان مضراً، كان حراماً. ودليل آخر قوله تعالى: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما)[١٢]. فنهى عن إتيان السفهاء أموالنا لأنهم يبذرونها ويفسدونها ولاريب أن بذل الأموال في شراء الدخان والشيشة تبذير وإفساد لها فيكون منهياً عنه بدلالة الآية الكريمة. أما من السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن إضاعة المال ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا ضرر ولا ضرار) وتناول هذه الأشياء موجب للضرر ولأن هذه الأشياء توجب للإنسان أن يتعلق بها فإذا فقدها ضاق

صدره وضاقت عليه الدنيا، فأدخل على نفسه أشياء هو في غنى عنها [١٣]. فعن أم سلمة رضى الله عنها قالت: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتّر_ رواه أبو داود[١٤] وأحمد[١٥]. والمفتّر ما يورث الفتور وتخدير الأطراف وضعفاً وانكساراً، وهذا الحديث من أصرح الأدلة في تحريم الخمر والدخان. وقال الخطابي في معالم السنن: المفتّر شراب يورث الفتور والرخوة في الأطراف وهو مقدمة السكر وقد نهى عن شربه لئلا يكون ذريعة إلى السكر. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله: «لا ضرر ولا ضرار[١٦]، والدخان يضر صاحبه ويؤذي جاره ويتلف ماله. وعن المغيرة قال: قال رسول الله: «وكره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال[١٧] والدخان ضياع لمال شاربه يكرهه الله[١٨]. وفي فتوى لسماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله حول سؤال بيان حكم شرب الدخان والشيشة قال سماحته شرب الدخان محرم وكذلك الشيشة والدليل على ذلك قوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)[١٩]، وقوله تعالى:(وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)[٢٠]، وقد ثبت في الطب أن تناول هذه الأشياء مضر، وإذا كان مضراً، كان حراماً. ودليل آخر قوله تعالى: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما)[٢١] فنهى عن إتيان السفهاء أموالنا لأنهم يبذرونها ويفسدونها ولاريب أن بذل الأموال في شراء الدخان والشيشة تبذير وإفساد لها فيكون منهياً عنه بدلالة هذه الآية. ومن السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن إضاعة المال ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا ضرر ولا ضرار) وتناول هذه الأشياء موجب للضرر ولأن هذه الأشياء توجب للإنسان أن يتعلق بها فإذا فقدها ضاق صدره وضاقت عليه الدنيا، فأدخل على نفسه أشياء هو في غنى عنها[٢٢]. **كما جاءت جميع المذاهب الأربعة بتحريم الدخان، كما يلي:**

١- **المذهب الحنفي:** فمن ذكر تحريمه من فقهاء الحنفية الشيخ محمد العيني ذكر في رسالته تحريم التدخين من أربعة أوجه: أحدها: كونه مضراً للصحة بإخبار الأطباء المعتبرين، وكل ما كان كذلك يحرم استعماله اتفاقاً. ثانيها: كونه من المخدرات المتفق عليها عندهم المنهي عن استعمالها شرعاً، لحديث أحمد عن أم سلمه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر، وهو مفتر باتفاق الأطباء

وكلامهم حجة في ذلك وأمثاله باتفاق الفقهاء سلفاً وخلفاً. ثالثها: كون رائحته الكريهة تؤذي الناس الذين لا يستعملونه وعلى الخصوص في مجامع الصلاة ونحوها بل وتؤذي الملائكة المكرمين. وقد روى الشيخان في صحيحيهما عن جابر مرفوعاً (من أكل ثوماً او بصلاً فليعتزلنا وليعتزل مسجدناً وليقعد في بيته) ومعلوم أن رائحة التدخين ليست أقل كراهية من رائحة الثوم والبصل. وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)[٢٣]. رابعها: كونه سرفا ليس فيه نفع مباح خال من الضرر بل فيه الضرر المحقق بإخبار أهل الخبرة.

٢- **المذهب المالكي**: ممن حرم الدخان من علماء مصر الشيخ أحمد السنهوري الحنبلي وشيخ المالكية إبراهيم اللقاني. وعلماء نجد مجمعون على تحريمه إلى هذه اللحظة[٢٤]. واعتمد الذين حرموا التدخين على ما يلي: "أنه مسكر أو على الأقل مفتر، وأنه ضار بالصحة، وأنه إسراف وإضاعة للمال".

٣- **المذهب الشافعي**: ومن فقهاء الشافعية الشيخ الشهير بالنجم الغزي الشافعي قال ما نصه: والتتن الذي حدث وكان حدوثه بدمشق سنة خمس عشرة بعد الألف يدعي شاربه أنه لا يسكر وإن سلم له فأنه مفتر وهو حرام لحديث أحمد بسنده عن أم سلمه قالت: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر) وليس من الكبائر تناوله المرة أو المرتين، أي بل الإصرار عليه يكون كبيره كسائر الصغائر. وقد ذكر بعض العلماء أن الصغيرة تعطى حكم الكبيرة بواحدة من خمسة أشياء: إحداها: الإصرار عليها. والثانية: التهاون بها وهو الاستخفاف وعدم المبالاة بفعلها. والثالثة: الفرح والسرور بها. والرابعة: التفاخر بها بين الناس. والخامسة: صدورها من عالم أو ممن يقتدي به.

٤- **المذهب الحنبلي**: ومن فقهاء الحنابلة الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله قال في أثناء جوابه عن التنباك بعد ما سرد نصوص تحريم المسكر وذكر كلام أهل العلم في تعريف الإسكار ما نصه: وبما ذكرنا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام أهل العلم يتبين لك تحريم التتن الذي كثر في

هذا الزمان وصح بالتواتر عندنا، والمشاهدة إسكاره في بعض الأوقات، وخصوصاً إذا أكثر منه أو أقام يوماً أو يومين لا يشربه ثم شربه فإنه يسكر ويزيل العقل، حتى أن صاحبه يحدث عند الناس ولا يشعر بذلك نعوذ بالله من الخزي وسوء البأس، فلا ينبغي لمن يؤمن بالله واليوم الأخر أن يلتفت إلى قول أحد من الناس إذا تبين له كلام الله وكلام رسوله في مثله من المسائل، وذلك لأن الشهادة بأنه رسول الله تقتضي طاعته فيما أمر والانتهاء عما عنه نهى وزجر وتصديقه فيما أخبر.

الجهود الدولية لمكافحة التدخين:

من الآثار الاقتصادية للتدخين بخلاف التأثير المباشر من شرائها على ميزانيات الدول والأفراد، فهناك مشاكل عديدة ترتبط بالرعاية الصحية وخاصة في دول العالم الثالث[٢٥]. كما أن نسبة تغيب المدخنين عن أعمالهم لأسباب مرضية تبلغ ثلاثة أضعاف نسبتها لدى غير المدخنين، حيث أن المدخنين أكثر ميلاً إلى التهرب من أعمالهم الوظيفية من غير المدخنين، كما أن أداءهم الوظيفي أقل من زملائهم غير المدخنين، كما أن المدخنين أقل إنتاجية من زملائهم. والملاحظ أن نسبة إنتاجية المدخنين تأخذ بالارتفاع عن تركهم لعادة التدخين، فبعد سنة واحدة من الإقلاع عن التدخين تصبح إنتاجية المدخنين المقلعين أعلى بنسبة خمسة في المائة من زملائهم المواظبين على التدخين. ويعتقد الباحثون أن أحد أسباب انخفاض إنتاجية المدخنين تعود إلى اضطرارهم لترك مكاتبهم بشكل مستمر من أجل التدخين[٢٦]. كما أن للتدخين آثار نفسية حيث إن المدخن يتعرض أكثر من غيره للاضطرابات النفسية وعدم الاستقرار، والانفعالات النفسية الحادة، وضعف الشخصية والإرادة، وهكذا نجد أن التدخين هو أحد الأسباب المقيضة للشخصية، والهادمة لكيان الأفراد والمجتمعات[٢٧].

وفقاً لإحصائيات العام ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ فإن التدخين يؤدي بحياة ٤.٥ مليون نسمة كل عام جرّاء إصابتهم بسرطان الرئة وأمراض القلب وأمراض أخرى. ويقدر وصول عدد الوفيات عام ٢٠٢٠ إلى ١٠ ملايين شخص كل عام بينهم ٧ ملايين في الدول النامية، كما أن هناك أكثر من ٥ ملايين طفل مهددين بالموت

المبكر نتيجة التأثيرات الصحية للتدخين. ومع حظر الدول للتدخين، فقد بينت الدراسات انخفاضاً في تعاطى التبغ بنسبة ناهزت ١٦٪. كما أن أكثر من ٤٠٪ من سكان العالم في بلدان لا تحظر استخدام مصطلحات مضلّلة أو خادعة على أغلفة منتجات التبغ، مثل «خفيفة» أو «قليلة القار» علماً بأنّ تلك المصطلحات لا تعني أيّ انخفاض في درجة المخاطر الصحية ذات الصلة. وبلغ عدد الوفيات في دول الخليج في العام ٢٠٠٨ حوالي ١٤٠٠٠ شخص بسبب التدخين[٢٨]. ويتسبب التدخين السلبي في وفاة ما يقارب ٦٠٠ ألف إنسان كل عام، ولذلك فإن القوانين المناهضة للتدخين لها أهمية كبيرة جدا. ولقد شملت القوانين الحاكمة لمنع التدخين في الأماكن المغلقة ٣.١٪ من سكان العالم في العام ٢٠٠٧، وارتفعت هذه النسبة إلى ٥.٤ في العام ٢٠٠٨، فأصبح هناك ١٥٤ مليون شخص إضافيين في مأمن من التعرض للأضرار الناتجة عن التدخين في أماكن العمل، وسائر الأماكن العامة المغلقة. ولقد حققت مصر وإيران وجيبوتي أفضل الممارسات في التحذيرات الصحية على أغلفة السجائر، كما فرضت ثمانية بلدان في الإقليم حظرًا شاملاً على إعلانات التبغ هي: جيبوتي، وجمهورية إيران الإسلامية، والأردن، والكويت، وقطر، والسودان، والإمارات العربية المتحدة، واليمن. وفي منتصف العام نفسه، وضعت أربعة بلدان، هي: مصر، والأردن، وجمهورية إيران الإسلامية، وجيبوتي، تحذيرات صحية مصورة على أغلفة علب السجائر. ودخلت بلدان الخليج العربية مرحلة مراجعة المواصفات الخاصة بهذه التحذيرات[٢٩].

اتفقت معظم دول العالم على محاربة شركات التبغ في عام (٢٠٠٣م) ووقّعت مائة واثنان وسبعون دولة على (الاتفاقية الإطارية المحورية المنظمة لمحاربة شركات التبغ)، وهي أول معاهدة يتم التفاوض عليها برعاية منظمة الصحة العالمية[٣٠]. كما يتم الاحتفال باليوم العالمي لمكافحة التدخين حول العالم في الحادي والثلاثين من شهر أيار/ مايو من كل عام. حيث يعنى من خلاله التشجيع على الامتناع عن استهلاك جميع أشكال التبغ مدة أربع وعشرين ساعة في جميع أنحاء العالم. كما يسعى هذا اليوم بشكل أكبر لجذب الاهتمام العالمي حول السيطرة بشكل

واسع على استخدام التبغ وإلى التأثيرات الصحية السلبية له، والتي باتت تؤدي حاليا إلى الموت سنويا في أرجاء العالم. وقد صادقت الدول الأعضاء في منظمة الصحة العالمية (WHO) على اليوم العالمي لمكافحة التبغ (WNTD) في عام ١٩٨٧[٣١].

جهود دول مجلس التعاون الخليجي لمكافحة التدخين:

تأتي مكافحة التدخين على رأس أولويات مجلس وزراء الصحة لدول مجلس التعاون ومن أكثر الموضوعات عرضاً على المؤتمرات المتعاقبة للمجلس. ولا شك أن مكافحة التبغ تهم دول المجلس جميعها، والدليل على ذلك الإجراءات والأنشطة التي تعقد في هذا المجال من ورش عمل ومؤتمرات وندوات واحتفال باليوم العالمي للتبغ وتنفيذ كافة التوصيات، وهناك دعم كبير من الأمانة العامة لمجلس التعاون في هذا المجال وتعاون وتنسيق فاعل معها ومع منظمة الصحة العالمية – المكتب الرئيسي – والمكتب الإقليمي لشرق المتوسط. ويهدف برنامج مكافحة التدخين بصفة عامة إلى بحث سبل مكافحة هذا الوباء واتخاذ الإجراءات الملائمة والتي تعتمد على أنظمة ومنهجيات حديثة مثل رفع التعريفة الجمركية، والتثقيف الصحي، ومقاطعة شركات التبغ، وتشكيل اللجان الوطنية للمكافحة، والعديد من الإجراءات التي تهدف إلى تعزيز وسائل مكافحة التدخين. ومن أمثلة تلك اللجان:

اللجنة الخليجية لمكافحة التبغ: إنفاذاً لقرار لجنة التعاون المالي والاقتصادي في (مايو ٢٠٠٩م) تم تشكيل لجنة من وزارات المالية والصحة في الدول الأعضاء، وكلف المكتب التنفيذي لمجلس وزراء الصحة لدول مجلس التعاون لإعداد تصور للخيارات المتاحة لرفع الأعباء الضريبية وذلك خلال مدة زمنية (أربعة أشهر) في ضوء التصور المقدم من المكتب التنفيذي لدول المجلس ورفع ما تتوصل إليه اللجنة للاجتماع القادم للجنة التعاون المالي والاقتصادي. وللجنة لائحة داخلية تنظم عملها، وهي تعمل على تنسيق الجهود في جهات عديدة ليست مقصورة على وزارة الصحة فقط، بل شملت وزارة التجارة، والجمارك، والبلديات، والإعلام، والشباب والرياضة. ومن أبرز إنجازات اللجنة، تصديق جميع دول المجلس على اتفاقية منظمة الصحة العالمية الإطارية لمكافحة التبغ وبذا أصبحت جزءا من قانونها الوطني[٣٢].

عقدت لجنة الحد من تنامي مشكلة استهلاك التبغ ومشتقاته (اللجنة الخليجية لمكافحة التبغ) اجتماعها الأول يومي ٢١-٢٢ ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق ٧-٨ مارس ٢٠١٠م، بمقر الأمانة العامة بالرياض، وحضر الاجتماع ممثلون عن جميع الدول الأعضاء والأمانة العامة والمكتب التنفيذي لمجلس وزراء الصحة بدول مجلس التعاون. وقد تم عقد الاجتماع الثاني للجنة بمقر الأمانة العامة لمجلس التعاون بالرياض يومي الاثنين والثلاثاء الموافق ٧-٨ مارس ٢٠١١م، وعليه فإن إنجازات دول التعاون الخليجي لمكافحة التدخين في الدول الأعضاء يمكن رصدها كما يلي:

دولة الإمارات العربية المتحدة: اتخذت حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة متمثلة بوزارة الصحة خطوات في مكافحة آفة التبغ، وكان صدور القانون الاتحادي رقم (١٥) لسنة ٢٠٠٩ بشأن مكافحة التبغ بالدولة الانجاز الأكبر لتلك الجهود الذي رسم خارطة تنفيذ بنود الاتفاقية الإطارية لمكافحة التبغ للحد من استخدامه، وكذلك لخلق جيل مناهض لهذه الآفة. وكانت مسألة "تغليف وتسويق التبغ" من ضمن توصيات مكافحة التدخين؛ حيث تم تفعيل هذه التوصية بإدراجها كمادة أساسية بالقانون مادة (٣) حيث تنص على (يجب أن يكتب على كل عبوة من التبغ أو منتجاته والصور والبيانات التحذيرية بصورة واضحة ومتنوعة وعلى النحو الذي تحددها اللائحة التنفيذية لهذا القانون) كما أن مسودة اللائحة التنفيذية مادة (٢) تضمنت تفاصيل تطبيق هذه المادة وجاءت متوافقة مع المواصفة الخليجية الخاصة بالتبغ ومنتجاته. ووفقاً لرؤية الإمارات ٢٠٢١، تهدف دولة الإمارات إلى خفض نسبة انتشار التبغ بين الرجال من ٢١.٦ % إلى ١٥.٧٪، ونسبة الانتشار بين النساء من ١.٩ إلى ١.٦٦٪[٣٣].

مملكة البحرين: قامت باعتماد الصور والتحذيرات، كما تم اعتماد ضوابط تنظيم تسويق وتداول منتجات التبغ بصيغتها القانونية. وكذلك تم اعتماد التوصيات الصادرة عن الندوة الخليجية (١٣) من جانب المكتب التنفيذي، ويتم حالياً العمل على تجديد وتنفيذ التشريعات القديمة وسن تشريعات جديدة عن طريق اللجنة

الوطنية لمكافحة التدخين بالمملكة، واعتماد ضوابط استرشادية لتنظيم تسويق وتداول منتجات التبغ. كما يتم تكريم المؤسسات الملتزمة بالقوانين كنوع من الدافع للاستمرار ودفع الآخرين لتطبيق القوانين. وكذلك يتم العمل على التكثيف بالبرامج الإعلامية بجميع وسائل الإعلام. ويتم عمل ورش تدريب أطباء العائلة العاملين بالرعاية الصحية الأولية على كيفية التعامل مع الراغبين بالإقلاع وهذه البرامج محلية. وكذلك يتم التعاون مع مؤسسات المجتمع المدني كجمعية مكافحة التدخين البحرينية وغيرها لأخذ دورها بالعمل على مكافحة التبغ ويتم أيضاً عمل ورش عمل لهم على كيفية التعامل مع المدخنين. كما تم إدخال اللزقات والعلكة كعلاج مجاني بوزارة الصحة وأيضاً بعض الشركات الخاصة يتم دعم علاجات الإقلاع[٣٤].

المملكة العربية السعودية: قامت باعتماد الصور والتحذيرات، وقامت بتضمين هذه التحذيرات والصور في مشروع اللائحة الفنية الخليجية الخاصة ببطاقات منتجات التبغ حيث أنها لائحة فنية خليجية ملزمة، وتقوم المملكة حالياً بالأخطار لدى منظمة التجارة العالمية مع بقية دول مجلس التعاون الخليجي. كذلك تم اعتماد التوصيات الصادرة عن الندوة الخليجية الثالثة عشر والتي عقدت بمملكة البحرين؛ حيث يتم العمل وبشكل مستمر على التواصل مع أعضاء اللجنة الفرعية للجنة الوطنية لمكافحة التبغ بالمملكة لوضع تشريعات وأنظمة الحد من تسويق تداول منتجات التبغ على مستوى الوزارات ذات العلاقة. كما يتم رفع العديد من المعلوماتية والتوعية بشبكة مواقع برنامج مكافحة التدخين على شبكة الانترنت. بجانب تنظيم دورات تدريبية للعاملين في مجال مكافحة التدخين من مجال مهارات التواصل وطرق الإقناع وذلك لتوظيفها في مساعدة المدخنين على الإقلاع. كما تم توفير أدوية مساعدة للإقلاع عن التدخين بشكل مجاني في جميع عيادات (مساعدة المدخنين على الإقلاع) التابعة لوزارة الصحة. ولقد شارك برنامج مكافحة التدخين بوزارة الصحة في الندوة الدولية حول المرأة والتدخين التي نظمها كرسي الوبائيات بجامعة الملك سعود والتي عقدت في ١ نوفمبر ٢٠١٠ بمدينة الرياض. كما تم دراسة (الاتجاهات الاجتماعية حول آفة التبغ لدى طلبة الجامعات بمدينة الرياض وهي دراسة متخصصة من خلالها تم التعرف على اتجاهات ومدارك الطلاب وذلك

حتى يتم توظيف نتائج هذه الدراسة في وضع الحملات التوعية المستقبلية. ولقد قام برنامج مكافحة التدخين بوزارة الصحة بأكبر حملة توعية في مجال مكافحة التدخين استهدفت جميع النساء بالمملكة وذلك خلال اليوم العالمي للامتناع عن التدخين ٣١ مايو ٢٠١٠م والذي خصصت منظمة الصحة العالمية موضوعه عن التدخين بين النساء. وعملت المملكة على التطبيق الفعلي لقرار مجلس الوزراء بحظر جميع أشكال التدخين في جميع المطارات ابتداء من ١٤٣١/١٢/١هـ وتغريم المخالفين لهذا المنع بغرامة مالية قدرها ٢٠٠ ريال وقد بدأت جميع مطارات المملكة بتطبيق هذا النظام بشكل فعال وناجح. وأخذاً بمبادئ ديننا الحنيف الذي ينهانا عن كل ما يضر بصحتنا ومقومات حياتنا الاجتماعية والصحية والمالية والتربوية. لذا فقد صدر أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – بإنشاء الجمعية الخيرية لمكافحة التدخين وأمر – رحمه الله – بدعمها بكل ما تحتاجه من مقومات مالية ومن كوادر بشرية سعودية لمكافحة التدخين بالمملكة[٣٥].

سلطنة عُمان: قامت باعتماد الصور والتحذيرات الصحية من قبل اللجنة الخليجية لمكافحة التبغ واللجنة الفنية الخليجية لقطاع مواصفات المنتجات الغذائية والزراعية. وكذا تم اعتماد ضوابط تنظيم وتسويق وتداول منتجات التبغ بصيغتها القانونية. وتم اعتماد التوصيات الصادرة عن الندوة الخليجية (١٣) من جانب المكتب التنفيذي وقد صدرت بالسلطنة قرارات وزارية بحظر التدخين في الأماكن العامة المغلقة في جميع محافظات ومناطق السلطنة. كما صدر قرار وزارة التجارة والصناعة بمنع استيراد وبيع التبغ غير المدخن في السلطنة. وقامت بافتتاح عيادة استرشادية للإقلاع عن التدخين وتقييمها لاحقاً وذلك لفتح عيادات أخرى في محافظات ومناطق السلطنة. هذا بخلاف عمل حملة إعلامية للتعريف بقرارات حظر التدخين في الأماكن العامة المغلقة.

دولة قطر: قامت باعتماد الصور والتحذيرات الصحية التي أعدتها اللجنة الخليجية لمكافحة التبغ في اجتماع الدوحة للمواصفات والمقاييس بتاريخ (ذو القعدة ١٤٣٠هـ / نوفمبر ٢٠٠٩م) وقد تم إدراجها بالقانون المعدل لدول قطر. كما قامت بإضافة

التعديلات والضوابط الخاصة بتنظيم تسويق وتداول منتجات التبغ في صيغتها القانونية بالقانون المعدل لدولة قطر. كما تم الأخذ بأغلب التوصيات الصادرة عن اللجنة الخليجية الثالثة عشر لمكافحة التبغ والتي عقدت في مملكة البحرين خلال الفترة من ٥-٦ صفر ١٤٣١هـ الموافق ٢٠-٢١ يناير ٢٠١٠م. وأعدت برنامج وطني لمكافحة التبغ يشمل تفعيل السياسات التي وضعتها منظمة الصحة العالمية وخطة سنوية شاملة لتطبيق هذا البرنامج، وتم تعديل قانون دولة قطر بشأن الرقابة على التبغ ومشتقاته، وإضافة مواد جديدة في القانون للحد من انتشار هذه الظاهرة). كما شاركت دولة قطر بورشة العمل الإقليمية التي نظمها تحالف الاتفاقية الإطارية لمكافحة التبغ (إقليم شرق المتوسط) حول بناء القدرات في مجال الاتفاقية الإطارية لمكافحة التبغ في عمان بالأردن خلال الفترة ٢٤-٢٥ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ/ ٧-٨ يونية ٢٠١٠م.

دولة الكويت: شاركت في اجتماع اللجنة الخليجية لمكافحة التبغ التي اعتمدت الصور والعبارات التحذيرية، وكذلك اجتماع اللجنة الفنية الخليجية لقطاع مواصفات المنتجات الغذائية والزراعية التي وافقت على الصور والعبارات التحذيرية. ثم اعتمدت الضوابط الخاصة بتنظيم تسويق وتداول منتجات التبغ في صيغتها القانونية من جانب البرنامج الوطني لمكافحة التدخين. وشاركت دولة الكويت في اجتماع تطوير قوانين مكافحة التبغ لدول مجلس التعاون الذي عقد في الرياض خلال الفترة من ١١-١٤ أكتوبر ٢٠١٠م. وشاركت في ورشة العمل الإقليمية (حول بناء القدرات في مجال الاتفاقية الإطارية لمكافحة التبغ) عمان - الأردن ٧-٨ يونيو ٢٠١٠م والتي نظمها تحالف الاتفاقية الإطارية لمكافحة التبغ بإقليم شرق المتوسط. واعتمد البرنامج الوطني الكويتي لمكافحة التدخين توصيات الندوة الخليجية الثالثة عشر بالبحرين؛ حيث تم رفع مشروع مرسوم قانون لتطوير قانون مكافحة التدخين ١٩٩٥ بما يتوافق مع الاتفاقية الإطارية لمكافحة التبغ، وتم عمل حملات إعلانية مكثفة تحت شعار لا ضرر ولا ضرار وكذلك شعار مخاطر الشيشة، وذلك لتوعية المواطنين عن مضار ومشاكل التبغ. وتم إصدار قرار وزاري بتشكيل لجنة عليا لمكافحة التدخين برئاسة معالي وزير الصحة. وتفعيل تطبيق قانون منع التدخين في

الوزارات والشركات الخاصة والمجمعات التجارية. وتم عمل ورش عمل للعاملين في مجال مكافحة التدخين. وإدخال موضوع مخاطر التدخين في بعض المواد التعليمية بمناهج وزارة التربية. وزيادة عدد عيادات مكافحة التدخين في البلاد، علماً بأن العيادة تقدم الفحص والعلاج مجاناً.

أما بالنسبة للاتجاهات المستقبلية لدى دول مجلس التعاون الخليجي لمواجهة ظاهرة التدخين، فهى تتمثل في زيادة التنسيق والتعاون مع الجهات الإقليمية والدولية المهتمة والاستفادة من التجارب الناجحة في مكافحة التبغ؛ والاستمرار في الجهود الرامية إلى إطلاق حملة توعوية وطنية خليجية لتوعية الشباب بمضار التدخين وكيفية الإقلاع عن التدخين ومحاربته؛ والعمل على تحديث البيانات الخاصة بالتدخين في كل دولة وإنشاء قاعدة بيانات محدثة تتضمن كافة بيانات التدخين على مستوى الخليج؛ والاهتمام بنشر الثقافة القضائية للمواطنين لمقاضاة شركات التبغ؛ والتركيز على تفعيل إحياء الأسبوع الخليجي لمكافحة التبغ (الأسبوع الأخير من شهر شعبان من كل عام) باستخدام وسائل وأساليب فعالة وجذابة للوصول بالرسالة إلى أكبر قطاع من المجتمع لنشر التوعية[٣٦].

وفى الختام، فالتدخين عادة سيئة منبوذة من أفراد المجتمع، ولها ضررها على الصحة العامة، ومحرمة دينياً. ولقد بذلت دول مجلس التعاون الخليجي جهوداً مثمرة لمواجهة ظاهرة التدخين لما له من آثار سلبية على الصحة العامة للإنسان، بجانب الآثار الاقتصادية المترتبة عليه. ولقد تعددت التشريعات الدولية لمواجهة هذه الظاهرة، **وعليه فإن توصيات الدراسة يمكن تعديدها كما يلي:** (إنشاء وتكثيف جمعيات لمكافحة التدخين، فتح مواقع إرشادية لتبين ضرر التدخين، والكتابة في هذا الموضوع وإشباعه بحثاً واستقصاءً، وعقد الندوات والمؤتمرات التي تتحدث عن هذا الداء وكيفية علاجه ونشره في وسط العامة والخاصة من المجتمع، وتسليط الضوء على هذا الموضوع وإبرازه في الإعلام بشتى أنواعه المشاهد والمقروء والمسموع وبيان خطره والتحذير منه، وتوعيه الشباب خاصة وعقد اللقاءات لهم لبيان خطره لأن الغالب أن هؤلاء الشباب هم ضحية لهذا الداء الخطير، وتوزيع المنشورات

والكتب التي تكون عون على مكافحة هذا الداء، وتفعيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث ينكر على من يشرب الدخان لكي يقل عدد المدخنين، والعمل على إنشاء المتاحف والمعارض التي توضح مخاطر التدخين عن طريق الصور والعروض والعبارات المؤثرة التي تبين مكتملة أضرار هذه الآفة للمجتمع).

الهوامش

[1] سورة المائدة – آية (٤٩).
[2] هاني عرموش، التدخين بين المؤيدين والمعارضين، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، صـ ٩.
[3] محمد كمال عبد القادر، لماذا ندخن، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ، صـ ١٣، ١٤.
[4] زوجة هنري الرابع ملك فرنسا.
[5] محمد كمال عبد القادر، مرجع سابق، صـ ١٤.
[6] المرجع السابق.
[7] مفتي الديار السعودية السابق.
[8] سورة الأعراف الآية رقم (١٥٧).
[9] سيف الدين شاهين، آفة التدخين، دار الأفق، الرياض، ١٤١٤ هـ، صـ ١٧، ١٨.
[10] سورة النساء آية (٢٩).
[11] سورة البقرة آية (١٩٥).
[12] سورة النساء آية (٥).
[13] محمد العثيمين، أحكام شرب الدخان، دار القاسم، الرياض، ص ٢٠.
[14] سنن أبي داود، باب النهي عن المنكر(٢/ ٢٧٠) حديث رقم: ٣٦٨٨.
[15] مسند الإمام أحمد بن حنبل، (٢٤٦/٤٤) حديث رقم: ٢٦٦٣٤.
[16] رواه ابن ماجة (١٣) كتاب الأحكام (١٧) باب من بني في حقه ما يضر بجاره، حديث رقم: (٢٣٤٠)، (٢٣٤١) ورواه مالك في الموطأ (٢/ ٧٤٥) وحسنه النووي في الأربعين وابن رجب في شرحهما.
١٧ رواه البخاري كتاب (الاستقراض وأداء الديون) باب ما ينهى عن إضاعة المال (٥٩/٢).
[18] مرجع سابق.
[19] سورة النساء- آية (٢٩).
[20] سورة البقرة- آية (١٩٥).
[21] سورة النساء- آية (٥).
[22] محمد صالح العثيمين، أحكام شرب الدخان، مرجع سابق، ص ٢١.
[23] الطبراني، المعجم الصغير للطبراني [بيروت، المكتبة الإسلامية، ط ١، ١٤٠٥هـ]، كتاب: باب السين، باب: من اسمه سعيد [ح ٤٦٨] (٢٨٤/١).

[٢٤] محمد كمال عبد القادر، بعداً عن الخبائث، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ، ص ٩٥ – ٩٦.

[٢٥] هيثم أحمد شبلخ، التدخين طاعون العصر، دار القاسم، الرياض، ١٤٢٨هـ، ص ١٤٨-١٤٩.

[٢٦] خالد فائق العبيدي، قصة التدخين الكاملة، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٠٢-١٠٣.

[٢٧] م ب. وولمان، مخاوف الأطفال، تحقيق: محمد الطيب، عبد العزيز الكومي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٨٣، ٨٤.

[٢٨] جريدة آفاق، جريدة أسبوعية، الأحد ٦/ ٢٠١٣/١٠، عبر الإنترنت:
http://afaq.kuniv.edu/contents/current/details.php?data_id=1843

[٢٩] تقرير وباء التبغ العالمي ٢٠١٩، عبر الإنترنت:
https://www.who.int/ar/news/item/23-11-1440-who-launches-new-report-on-the-global-tobacco-epidemic

[٣٠] اتفاقية منظمة الصحة العالمية الإطارية بشأن مكافحة التبغ، منظمة الصحة العالمية، جنيف، ٢٠٠٣، ص ٦.

[٣١] ويكيبديا الموسوعة الحرة عبر الإنترنت: www.wikipidia.com

[32] http://ghc.sa/ar-sa/Pages/technicalprogramsnoncommunicablediseasestobaccocontroloverview.aspx

[33] https://u.ae/ar-ae/information-and-services/health-and-fitness/tobacco-and-alcohol-provisions

[٣٤] موقع وزارة الصحة بمملكة البحرين:
https://www.moh.gov.bh/Services/Smoking

[٣٥] حسين الراشد، التدخين السم القاتل، مركز الخدمات الإعلامية، الرياض، ١٤٢٥هـ، ص ١١٣-١١٤.

[٣٦] المكتب التنفيذي لمجلس وزراء الصحة لدول مجلس التعاون عبر الإنترنت:
http://ghc.sa/ar-sa/Pages/expatriatesofficialwebsite.aspx